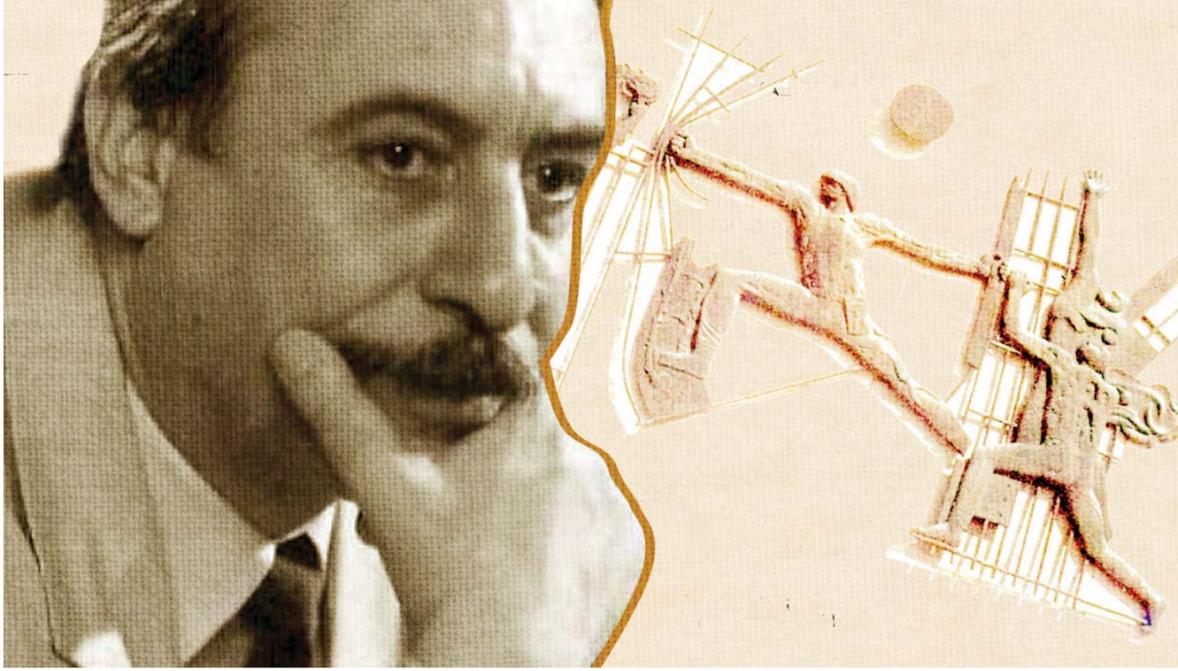


## حميد سعيد.. الموريسكي الذي لا يتعب

شاعر كشف معضلة القصيدة واستلهم تجربته من مرجعيات الحياة



شاعر أزال الغبار عما هو غامض

الكتابة الذي تخلفه قصيدة مرادة عن نفسها، لكن بالمراوغة، حتى قال عنها الكاتب عبد الحميد العلوجي، كما يذكر الشاعر بعد نشرها، "إن حميد سعيد يتغزل بامرأة جميلة ويريد أن يوهننا أنه يكتب عن تاميم النقط". ولم لا... حين تأتي التجربة من خلال حرافق المحبة... المرأة أو الإنجاز".

## حميد سعيد الإنسان

على هذا النحو تستمر الكتابة في مشوارها مع إبداع الشاعر حميد سعيد، في كتاب قاربت صفحاته على المنة، طباعة أنيقة، وعلى الغلاف الأخير نقرا سطورا بالغة الأثر والتأثير تتحدث عن حميد سعيد الإنسان، كتبها الموسيقار العراقي علي عبدالله.

قال عبدالله فيها "قامة عراقية، عريية، انظر إليها من سفوح غربتي وغربته. كما كنت أتطلع إليه كمنارة من منارات بلاد المهجة في الشعر والفن والأدب، وأتأمل شخصاً قصائد التي تحمل صفات الجمال من رقي ونبل وذكور. حين التقيته قبل أربعين عاماً تقريبا، واقتربت من رحابه الغنية، تعززت ثقتي بهارمونية العلاقة بين شخصية المبدع وشخصياته الواقعية، وبدت تلك الشخصيات تحمل بعضاً يسيرا من صفاته الحميدة المتعددة".

واضاف "رأيت خلال تلك الأربعين، إذا حضر، فهو محضر خير وطيب، وإن غاب يحضر محضر ذكر وطيب. كنت كلما خذلتني الدنيا، واسودت آفاقها، أذهب إليه، فأعود من رحابه مهزوا. تزدهر روي قوة وسعادة، وتنت أسأل نفسي دائما: كيف لرجل يمثل هذا النقاء، يجمع في أفاقه الواسعة إلا أن يكون منارة من منارات بلاد، إنه حميد سعيد. نهر من أنهار بلاد التي ترنو لتصب في شواطئ العرب".

التي لا تنتهي بين القصيدة وشاعرها. وقد كانت قصة يوسف مع امرأة العزيز إلهاما له، إنها كما يقول "تستعير موقف المرأة التي راودت فتاها، لكنها لا تمزق قميصه من دبر وإنما توفقه على بابها ليلتين، وإن بنفـر هناك ويرتضى السجن، فليس للشاعر من خيار غير الانتظار، وقبول الغواية"، يقول في مطلع نصه "كنت أعرف أن انحسار قميصك/ بدء الطريق/ وما قتلوه... وما/ يتها المتواطئة انتشيري... إن عريك مغفرة/ وشذاك عرائش كرم... لعنت بنا ولعينا/ أرى وجهك الآن بفرغ عن مدن وأراك تنامين كاطفل، تنبسين/ يتها الطفلة المتوحشة الآن أدخل بيت أبيك/ أخلع أبوابه/ يتها الطفلة المتوحشة... الفقراء بناون/ إننا غفرنا لها عريها/ وغفرنا لها كلما كان/ إن قيودك تسقط قبل الصباح كزهره اللون".

والسؤال الذي يتوارد إلى ذهن القارئ عندما يقرأ "يتها" بدلا من "أيتها"، هل هي خطأ مطبعي؟ لكن من خلال التكرار يدرك أن الجواب عند الشاعر. يقول سعيد "بعد شطري المفتوح (كلما راودته القصيدة أوقفتها على بابها ليلتين) الذي يتحول إلى مقطع يهد لصعود التجربة ليس بالنقاط/ علامات انتهاء المقطع/ بل بالتوقف اللحني الخاد، والدخول إلى عمق التجربة بالنساء، إن حذف الألف من أيتها وإبقاء يتها فقط ليس مجرد لعبة شكلية تعتمد جواز لغوي، بل هو استدراك لتجاوز ذلك التوقف اللحني الحاد في النون الساكنة، وتحقيق وحدتين الأولى موسيقية، والثانية في بناء النص".

ولنا أن نتساءل: لماذا غفر لها الفقراء عريها؟ يجيب سعيد "إن الإشارة إلى التي غفرنا لها عريها، وغفرنا لها كل ما كان، ومن قبل معرفة الراوي بان انحسار قميصها بدء الطريق، هو نمط تمييز من نمط التعبير عن السياسة". إنه وجع

ومن أين جاء الناس بافانين التعبير عن الفرح. ما زلت أذكر شخصا طويل القامة، يرقص وسط الجماهير شبه عار، حاملا سيفا صقيلا لأمعا. لا يلتفت إلى ما حوله وكأنه يمارس طقسا خاصا به. هل كنت الصامت الوحيد. وقد وقعت في بداية شارع السعدون أتامل الناس وأمد بصري إلى جدارية جواد سليم ومن خلالها أستحضر تاريخ الوطن".

"أراك عصي الدمع شيمتك الصبر/ أما للهوى نهي عليك ولا أمر" رائعة أبي فراس الحمداني. لكن سعيد يضيف "إن عصي الدمع صارت عيناه تسحان الدمع غزيرا، ومن خلال الدموع رأيت كل الناس إنسانا واحدا. وكل الوجوه وجهها واحدا. ورأيت رموز جدارية جواد سليم تخرج من قيود البرونز الثقيل وتنزل إلى ساحة التحرير وتغيب في الزحام".

كيفية يترك العراق "وهو يقترن من اللحم الذي انتظرتة أجيال من العراقيين"، فكان "موزعا بين الحزن والقلق والانتظار. أتمنى أن تسرع معركة التاميم، وأن تتباطأ أيام مغادرتي بغداد". كان الصراع والقلق والاختناق والأسئلة والمشاعر كلها تحيش في نفسه، إذ يشعر بأنه لا يستطيع السفر قبل أن يشهد إعلان تاميم النقط، فعسى أوامر السفر. وفي الوقت ذاته كانت القصيدة بهذه المناسبة الجلية تتأجج في داخله وتتمتع عليه.

يقول الشاعر عن قصيدته "يا لهذه المخلوقة الجميلة النافرة، كلما أسكنتها في بيت الطاعة تمربت واختارت الغياب، فإن رضيت بغيبابها أطلت بسحرها وأدخلت في حرافقها". ولعل غيابها -أو تمنعها- تجلبي في قصيدة "عن القصيدة"، إذ كان الخاض صعبا لأن ذلك أت من ضجيج الشعر في رأسي، قبل لحظة الكتابة، والذي يستمر أحيانا زما جذ طويل".

ويرى سعيد أن هذه المعاناة يعبر عنها بالقصيدة المرادة لا القصيدة المنمعة، فهي تشتعل في ذاته منذ الحدث الكبير، تاميم نقط العراق؛ تراوده، تضج حروفها في ذاته وتؤرقه، وكما كتب "كلما راودته القصيدة أوقفتها على بابها ليلتين"، وقال أيضا "أيتها المتواطئة الآن أقر أن أتجاوز حراسك الألف، أن أستبيحك.../ أن أضع اسمك بين الذين يجيئون كإله لا تسالي". وتم التاميم، واسترجع النقط العراقي وجهه الوطني التقى بعيدا عن الشركات الاستعمارية، يقول الشاعر "وبصمت غادرت البيت. ووجدت نفسي في ساحة التحرير، لا أستطيع أن أقرب من حرافق الفرح تلك، وكيف عبر الشعب عن ذلك الموسم الثري. بغداد بكل ملايينها تدفقت إلى الشوارع، هتافا ورقصا، لأدري من أين خرجت كل تلك الطبول والرموز،

حميد سعيد، شاعراً وإنساناً، شكّل في الضمير الجمعي العراقي أيقونة محبة، لا يخفى تأثيرها على أحد، وامتد هذا التأثير والحضور إلى ربوع الوطن العربي، وربما إلى العديد من مراكز البحث في الجامعات الأجنبية. حوله كتبت العديد من المؤلفات التي لم تتوقف عند شعره فحسب.

للقصيدة، من الماضي والحاضر، من العربي والأجنبي، من الشفهي والمكتوب، من الواقعي والأسطوري، مما أسمع وما أرى، من الشعري والنثري. من كل هذه المرجعيات أفدت، وبها كلها".

ويضيف "إن مرجعيات الإبداع هي مرجعيات الحياة، ليس في الشعر فحسب، بل في جميع عناوين الإبداع، وإن من يحاصر أفق إبداعه بمرجعية واحدة سيكون بمنأى عن جوهر الإبداع". أخذ سعيد حروفه من بشر يعبق بالذكريات، من طفولة هائلة وشباب ثائر، وانتفاء ثوري متمرد، وذكريات غنية بالإصدقاء والمدن والقارات والحب والأحزان، يقول "يلخ علي سؤال دائم: ما العلاقة بين الشاعر أي شاعر وقصيدته؟ هل القصيدة هي الوجه الآخر للشاعر؟". ويقول أيضا، في كتابه الأقرب إلى السيرة الذاتية "البحث عن أسرار القصيدة 1988"، "حاولت الإحياء بعلاقة ما بين السيرة الذاتية للشاعر والسيرة الذاتية للقصيدة في كتابي "الكشف عن أسرار القصيدة" وعلاقتها بالمكان في كتابي الآخر "المكان في تضاريس الذاكرة". فهل تختلف سيرة القصيدة عن سيرة الشاعر إن لم تكن إلا نبضه الحقيقي يتجلّى في الحروف؟".

ويضيف "عبر عقدين من الزمن، عمر تجربتي في كتابة النص الذي أتأمل وانتظار النص الذي يأتي، أخذت أعمارا وتواريخ، أحداثا وثقافات، مدنا ووجوها، أسماء وملامح، نساء وقصائد".

إن الدخول إلى عالم حميد سعيد ليس سهلا؛ فكل باب تلجسه تهب من حولك روايات الياسمين والقرنفل والنارنج والبريق، سواء كانت في بساطين الحلة أو بغداد أو قرطبة أو غرناطة، "وتحنو عليك شجرة الصفصاف"، فتقف بالتالي ماخوذا بضوع حروفه الشعرية والنثرية. ولكن خلف الأبواب يقف العراق، وتقف بغداد بناورها ولهيبتها، وما خلفه الاحتلال من دمار وحزن وكثير يدخل في "غابة الرماد".

عن معضلة القصيدة التي تأتي ولا تأتي يقول سعيد إنه "ليس أقدر على القصيدة من المشاكسة"، خاصة إذا ارتبطت بزخم وطني جماهيري عارم، رغم أن القصيدة تمنعت في مواقف كثيرة لديه.

كان الحدث عظيما، والجماهير العراقية تدفقت عن بكرة أبيها إلى ساحة التحرير في بغداد حين أعلن العراق في بداية عام 1972 عن قراره تاميم نقط العراق، واستعادة الحقوق الوطنية المغتصبة. كان سعيد أثناءها يحزم حقائبه استعدادا للسفر إلى مدريد مقر عمله الجديد. فكان السؤال:

زيد الحلبي  
كاتب عراقي

العطاء الذي قدمه الشاعر العراقي حميد سعيد طوال مسيرته لم يقتصر على جنس أدبي واحد، بل تعداه إلى البحث الأدبي والمقالة الصحافية والدراسة الرصينة التي تزيل الغبار عن الغواض في شتى صورها، وصدرت له عدة كتب في المناحي التي ذكرتها، وأعيد طبع البعض منها أكثر من مرة، إلى جانب دواوينه التي تحظى بمتابعة جماهيرية واسعة.

مؤخرا أنهيت مطالعة آخر كتاب صدر عن حميد سعيد، من تأليف الناقد إنصاف قلجعي بعنوان "تطواف في حدائق الموريسكي عن الشاعر حميد سعيد".

ضم الكتاب عدة فصول وأبواب منها "معضلة الكتابة" و"لم يبق أحد في البابين" و"الموريسكي... الذي لا يتعب" و"محاورات حميد سعيد في أولئك أصحابي" و"ما تأخر من القول... ليس نهاية القول" و"إطلالة عبر شبابيك حميد سعيد الجديد".

وحسنا فقلت الكاتبة حين قالت في مقدمتها: لا يحتاج شاعر كبير مبدع مثل حميد سعيد إلى مقدمة للتعريف به، فقد وجدت عشرات الكتب والدراسات حول تجربته الشعرية الثرية، فإن كتبت عن الشاعر حميد سعيد يعني أن تضع أصابعك في جمر حرافقه واشتعالاته، وتدخل في أزقة لا تعرف منها خروجا، وفضاءات تبهرك بنورها وتوهجها.

ففي كل ركن اعتزل فيه الشاعر، وما كانت غزلة يقدر ما كانت ضجيج الروح، ترى بحدسك أشخاصا ومقاهي بغداد ووجوها من الحلة وقادة عسكريين ومدنا صاحبة وأنهارا وصيادين وطفلا يضح بالأسئلة في طرقات الحلة، وجوها تحسها دون أن تراها، فحركة الحياة هناك مستمرة في ذاكرة هذا الموريسكي الذي لا يتعب... وعائس من غربة الموريسكيين الذين طردوا من غرناطة وفرطية كما غربته منذ احتلال العراق وتدميره.

## معضلة القصيدة

تجربة الشاعر حميد سعيد تجربة حياتية وإبداعية ثرية بما تشمله من قراءات متنوطة وسفر عاشه بكل غناه من أناس وثقافة وأماكن متنوعة وتاريخ حضاري منذ نشأته في العراق، ثم التزامه المطلق بقضية فلسطين، ثم إسبانيا ثم المغرب. يقول سعيد "منذ البدايات، وما زلت أشعر، أبواب الحياة وتوافدها،

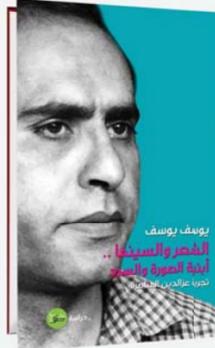
## قصائد السرد والصورة

في كتابه الجديد بعنوان "الشعر والسينما.. أبنية الصورة والسرد.. تجربة عز الدين المناصرة" يبحث الناقد يوسف يوسف في تجربة الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة.

ويرى الناقد في كتابه، الصادر عن دار خطوط وظلال دراسة، أن الحديث عن عملية التحضير باستخدام الأسطورة، إنما هو حديث عما يعرف بالقوى الدافعة للنص الأدبي، التي هي نفسها في تسمية أخرى القوى المحركة، التي يرتقي النص بسببها إلى المكانة المرموقة.

صحيح أن شعراء كثيرين ذهبوا باتجاه تخصيص نصوصهم بالأساطير، وذهب آخرون باتجاه تخصيصها باستحضار فقرات أو شخصيات من تاريخ الشعوب التي ينتمون إليها، لكن آخرين سواهم ذهبوا باتجاه تخصيصها بالسرد مرة وتخصيها بالصورة مرات أخرى، وإن لم يتخلوا في الوقت نفسه عن استخدام ما سبق ذكره من المحركات.

وعز الدين المناصرة واحد من هؤلاء الآخرين، الذين يمكن القول فيهم بأنهم إنما يفعلون ذلك ليس فقط لارتقاء بالنصوص الشعرية التي يكتبونها فقط، وإنما لإيصالها إلى الكونية أيضا.

يوسف يوسف  
أبنية الصورة والسرد..  
تجربة الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة

## هزيمة الموت

في ديوانه "مجاز الماء" الذي صدرت طبعته الثانية مؤخرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، يقدم الشاعر المصري سامح محبوب رؤية فنية وجمالية للعالم انطلاقا من التفاصيل اليومية البسيطة، وانعكاساتها في المخيلة الجماعية، وتماسها مع الأساطير والأفكار الكبرى الراسخة في الوجدان.

بداية من القصيدة الأولى يبرر الشاعر الغرض والهدف من الكتابة "أكتب كي أهرم موتي"، لتصبح الكتابة في أيهـى تجلياتها رديفا للخلود. وتنهال الصور الشعرية في إيقاع محكم منضبط ذي حس مأساوي في أغلب الأحيان، يلتهم من خلال تلك الصور العذابات البشرية الفكرية والوجدانية والعاطفية والمادية.

ورغم تنوع العذابات وكثافتها وامتدادها عبر القصائد وكأنها تعبر عن مأساة الإنسانية عبر العصور، إلا أن الحس العاطفي والإيرونيكي يتسلل بين حين وآخر إلى القصائد عبر صور أخاذة ليخلق مفارقات غرائبية، هي أبنية الحياة اليومية، كان الشاعر يسعى إلى أسطرة الواقع أو وقعة الأسطورة بطريقة فنية يمتزج فيها الخيال مع الإيقاع مع التوستالجيا.

سامح محبوب  
حجاب الماء

## امرأة تحب وتتأمل

على عكس ديوانها السابقين اللذين احتفت فيهما بالثنائيات المتضادة، الريح والظل في العمل الأول، والماء والموت في العمل الثاني، تفتح الشاعرة المغربية عائشة بلحاج في ديوانها الجديد بعنوان "لا أعرف هذه المرأة" على معجم الحياة والموت من دون حدود.

و"لا أعرف هذه المرأة" الصادر عن "دار الأين/ ناشرون وموزعون" في عمان هو الديوان الثالث في سيرة بلحاج بعد "ريح تسرق ظلي" (منشورات بيت الشعر)، و"قبلة الماء" (دار روافد المصرية).

تلفتنا في الديوان عناوين عديدة، مثل: سنزهر، خضراء، كأننا العطر نفسه، امرأة بريئة، رجل غريب عبر حياتي، بومة، كان الذي بيننا حروب وأدخنة، فرصة عمل، تشريح جثة حية، لا يحتاج البحر إلى سفن.

وهو ما يؤكد المسار الذي حاولت الشاعرة المحافظة عليه على غرار شاعرات عربيات كثيرات، ألا وهو الوقوف في منطقة وسطى بين عاطفة المرأة وعلاقتها بالرجل والتأملات في الواقع وما يطرا عليه من أحداث تثير أسئلة وجودية عميقة.

عائشة بلحاج  
لا أعرف  
هذه المرأة